الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

-٣-

١٣ — كتاب معاني الحروف :

عدّ بروكلمن بين مصنّفات الزجاجي كتاباً باسم « حروف المعاني » . وأما « معاني الحروف » فلم يذكره أحد غير ابن خير الاشبيلي [١] . إلا أن القفطي قال في الإنباه إن « لأبي علي الفارسي كتاب « الأغفال » فيما أغفله الزجاجيّ في المعاني [٢] » ! وكلام القفطي هذا ، يمهّد السبيل لوهم القارئ ، إذ يدلّ على أن « أغفال » الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق ان في كلام القفطي نقصاً وسهواً ؛ أما النقص فلأنه كان ينبغي له أن يشير الى أن « الأغفال » انما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلأن « الأغفال » هو تعقيب واستدراك على كتاب « معاني القرآن وإعرابه » لأبي اسحاق الزجاج ، لا على معاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشر محقق الإنباه الى ذلك [٣] .

---

(١) فهرست ابن خير : ٣١٩ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الايضاح : للأغفال نسختان ، احداهما في مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقمها (خزانة ١ رف ٤ رقم ٩٤) وهي مكتوبة سنة ٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم (٥٢ تفسير) ونقلت عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .
وقد ذكر ابن خير كتاب الأغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته (ص ٣١٠) كما ذكر كتاب « معاني القرآن واعرابه » للزجاج في ص ٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٤ — شرح رسالة كتاب سيبويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجموا للزجاجي ولم يشر الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « ايضاح علل النحو » : وفي ذلك احتجاج ونظر لم نقصد إليه في هذا الكتاب ، لأنا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجميع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه ... » وقال أيضاً « وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراده الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو — فيما أعتقد — شرح الصفحات الأولى من كتاب سيبويه ، تلك التي بحث سيبويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب بباب الفاعل . ويؤيد ذلك :

أ — أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأيناه يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

— وبمناسبة الخلط بين الزجاج والزجاجي ، يجدر بي أن أنبه على أن الكثير من فهارس المكتبات العامة ذكرت « كتاب فعلت وأفعلت » منسوباً للزجاجي ، حتى اخذ بذلك بعض المحدثين . فعده الأستاذ محمد بن ابي شنب ناشر الجمل بين آثار الزجاجي ، زاعماً انه ينقل عن كشف الظنون . والحق ان هذا الكتاب من وضع ابي اسحاق الزجاج ، استاذ ابي القاسم الزجاجي ، كما في كشف الظنون نفسه (٢ : ١٤٤٧) وكما في فهرست ابن خير (٣٥٢) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٦) ضمن مجموعة باسم « الطرف الأدبية » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ً — من المعروف أن كتاب سيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدمة للكتاب ، لأنه بحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفريعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ً — قول الزجاجي انه شرح في هذا الكتاب قول سيبويه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » يدلّ على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب سيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ — كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنّفين :

لم يشر الى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجموا للزجاجي هما السيوطي وبروكلمان . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكّاً في نسبته حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بروكلمان فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي .

قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع سيبويه ، ذكره أبو حيّان في تذكرته [1] وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » [2] وقال فيما بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي [3] » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف ابي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المسمى غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين » ولم أقف على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي »[1] . وقد نقل عنه ذلك صاحب خزانة الأدب [2] ومع أن السيوطي لم يذكر لنا السبيل ولم يذكر ما دفعه إلى هذا الظن إلا أننا نستطيع اذا رحنا نتلمس له الدليل ان نجد بعض ما يؤيده ويوشك ان يرجح ظنه .

إذا عدنا الى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :

١ً — ان أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلاهما أسلوب يعنى صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشباه والنظائر (٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧) .

٢ً — ان الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ؛ فمنهم اليزيدي (أشباه ٣ : ٣٣) والزجّاج (٣ : ٣٤) وأبو جعفر الطبري (٣ : ٣٥ و ٣٩) والأخفش (٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠) وابن الخياط وابن شقير (٣ : ٤٦) وهؤلا جميعاً ممن اجتمع الزجاجي بهم وصرّح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣ً — ان عنوان الكتاب الذي هو « غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنّفين » فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تآليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه « الايضاح في علل النحو » : « وان أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .
(٢) الخزانة ٣ : ٣٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إياه لا يكاد يراه متفرّقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب . » وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن الى اليقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود الى النسخ المخطوطة من كتب المجالس ونقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها . . . وليس هذا التمهيد الذي أقدّم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

١٦ — الإذكار بالمسائل الفقهية :

ومما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرّقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بغير الفقه . فما كان منها فقهياً فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الإذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدّمتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبقاك ، وهدانا وإياك ، ووفقنا فيما نحاول ديناً ودنيا للرشاد ، ورزقنا علماً نقرن به عملاً يقرّب منه ويزلف لديه ، إنه سميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإنك أذكرتني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي سئل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرُق أعقّ وأظلم[1]

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العربية يتلاقى بها النحويون ويسأل عنها متأدبو الفقهاء ، وكنت جمعتها قديماً ، منها مسائل ذكر لي

(١) عد الى ما قيل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده اياها . ومنها مسائل منثورة جمعت بعضها عن شيوخي شفاهاً ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحببت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الإذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتني له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فيمل ، ويكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1] .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

١٧ — مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجيّ مسائل متفرّقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سأله عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الأشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية الى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتمّ نعمته عليك وأدامها لك . وقفت ياأخي — جعلني الله فداك — على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بحول الله ومشيئته . ووقفت على ماضمنته آخرة من المسائل التي اشتبهت عليك ، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلمي بتعلّق قلبك بها ، وليعجل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الاشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأنبعتها مسائل من عندي منتخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ، ومهما عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض عني فإني أسرّ بذلك ، وأفضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما يتناهى إليه علمي إن شاء الله تعالى . »[1]

ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال : « أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد السعدي سعدِ بكر ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم نقول سعدِ بكر على الترجمة (يعني البدل) ، لأنا نريد بهذا الكلام الاضافة ، وليس يمنعون من إجازة نصبه .

فأما أصحابنا البصريون فلا يجيزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي سعد مرفوع وليس بمرفوع وانما الياء المثقّلة في آخره دلت على النسب إليه ، ولا يكون المضاف إليه أولاً والدالّ على الإضافة آخراً . ولعمري ان النسب إضافة ، لأنا إذا قلنا رجل بكريّ وتميميّ ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد سمى سيبويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد السعديّ سعدَ بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا يمنعون من الرفع على معنى هو سعد بكر .

وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطّرة في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخياط وابن شقير فأجاباني بما ذكرته لك ...

---

(١) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٨ — الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى ما ذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم « بيان الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها » ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواه .

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المسائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي . وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأمالي . ودفعت بالثالث منها وهو « الإيضاح » الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب « اللامات » وأنا اسأل الله أن يمدني بعونه وتوفيقه لأتابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الذخر في النحو واللغة والأدب .

وها كم نماذج عن كتاب « الإيضاح في علل النحو » وشرح مقدمة « أدب الكاتب » وكتاب « اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل » وكتاب « اللامات » للزجاجي :

(يتبع) مازن المبارك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

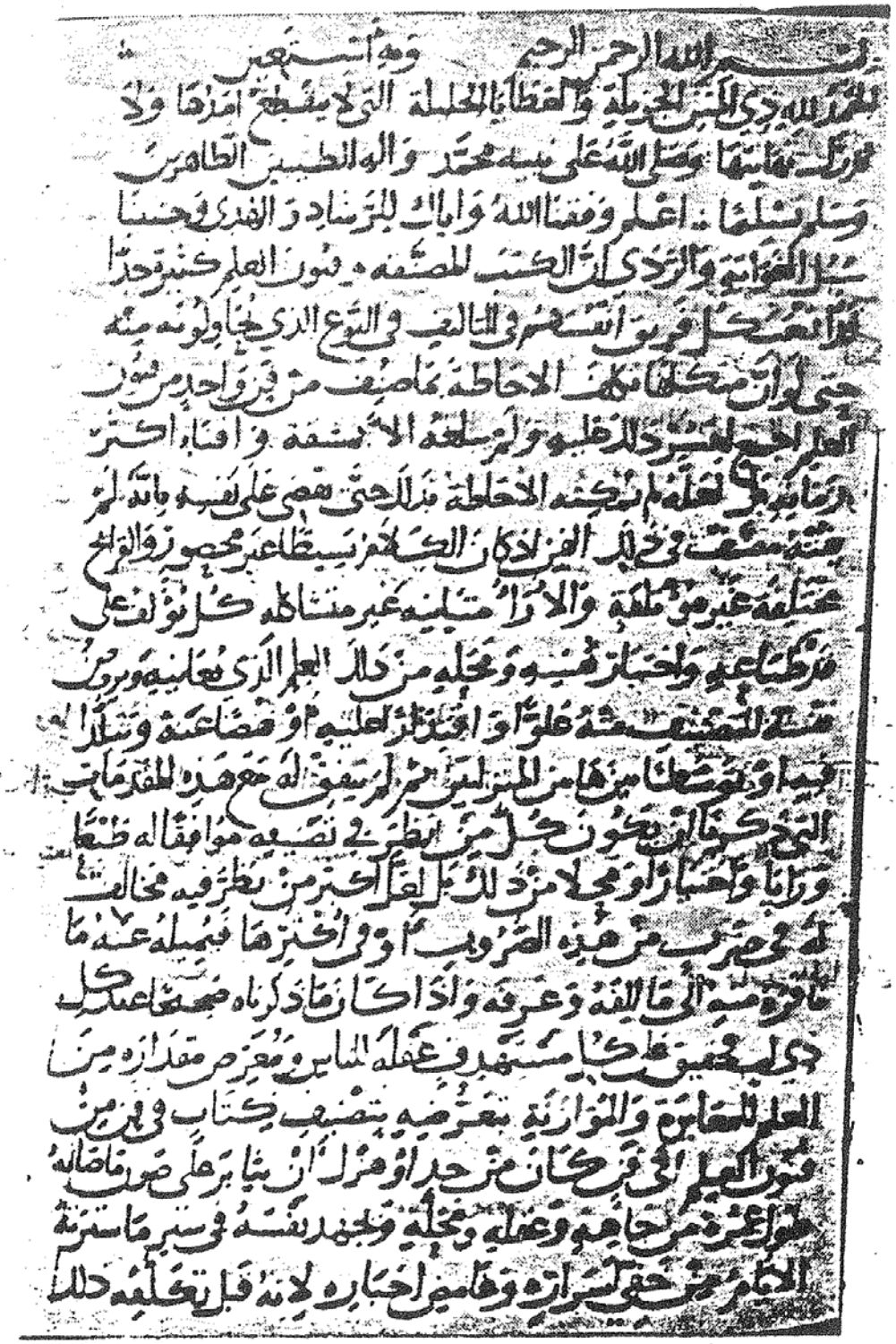

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

(٥) صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

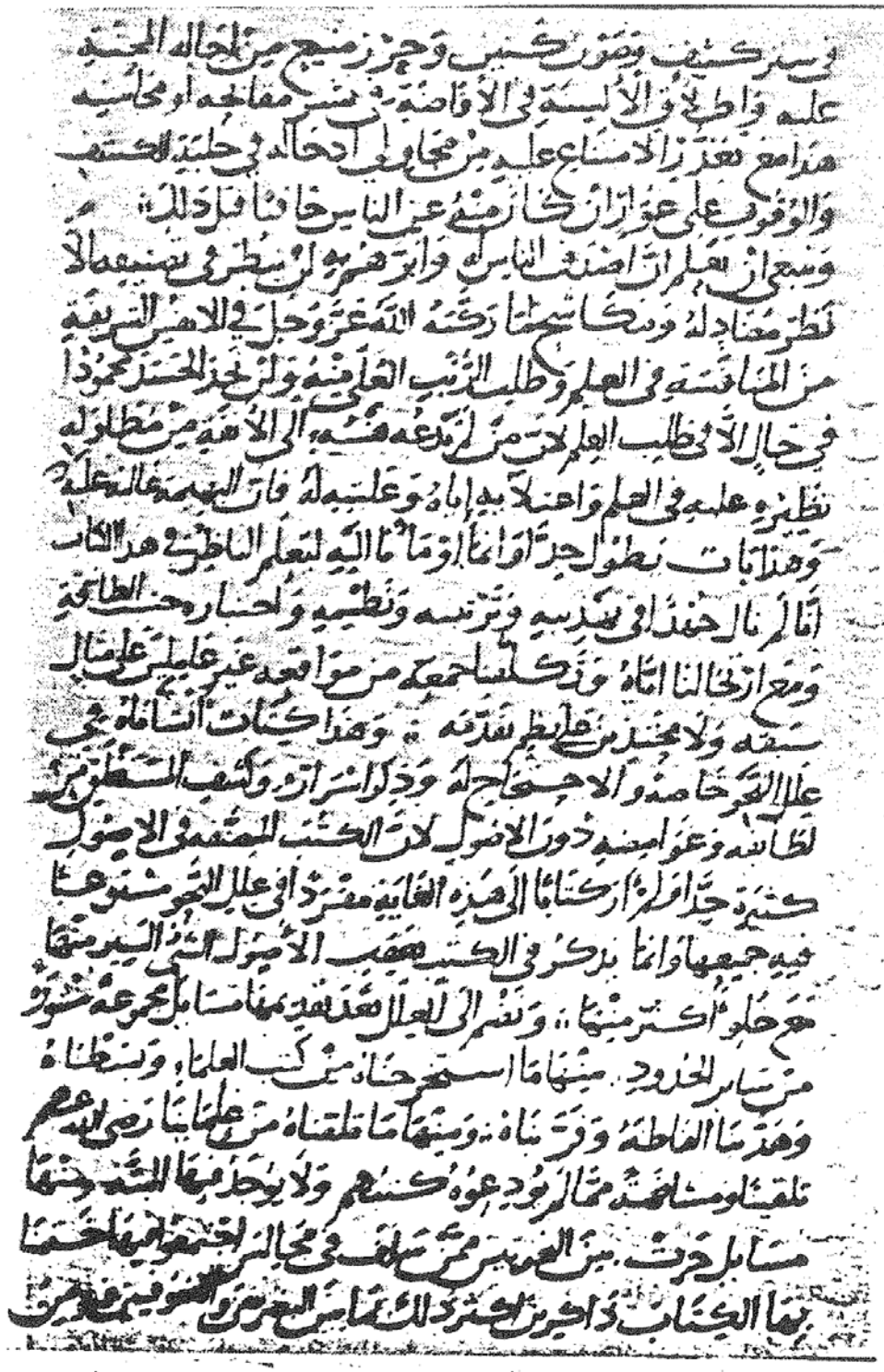

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

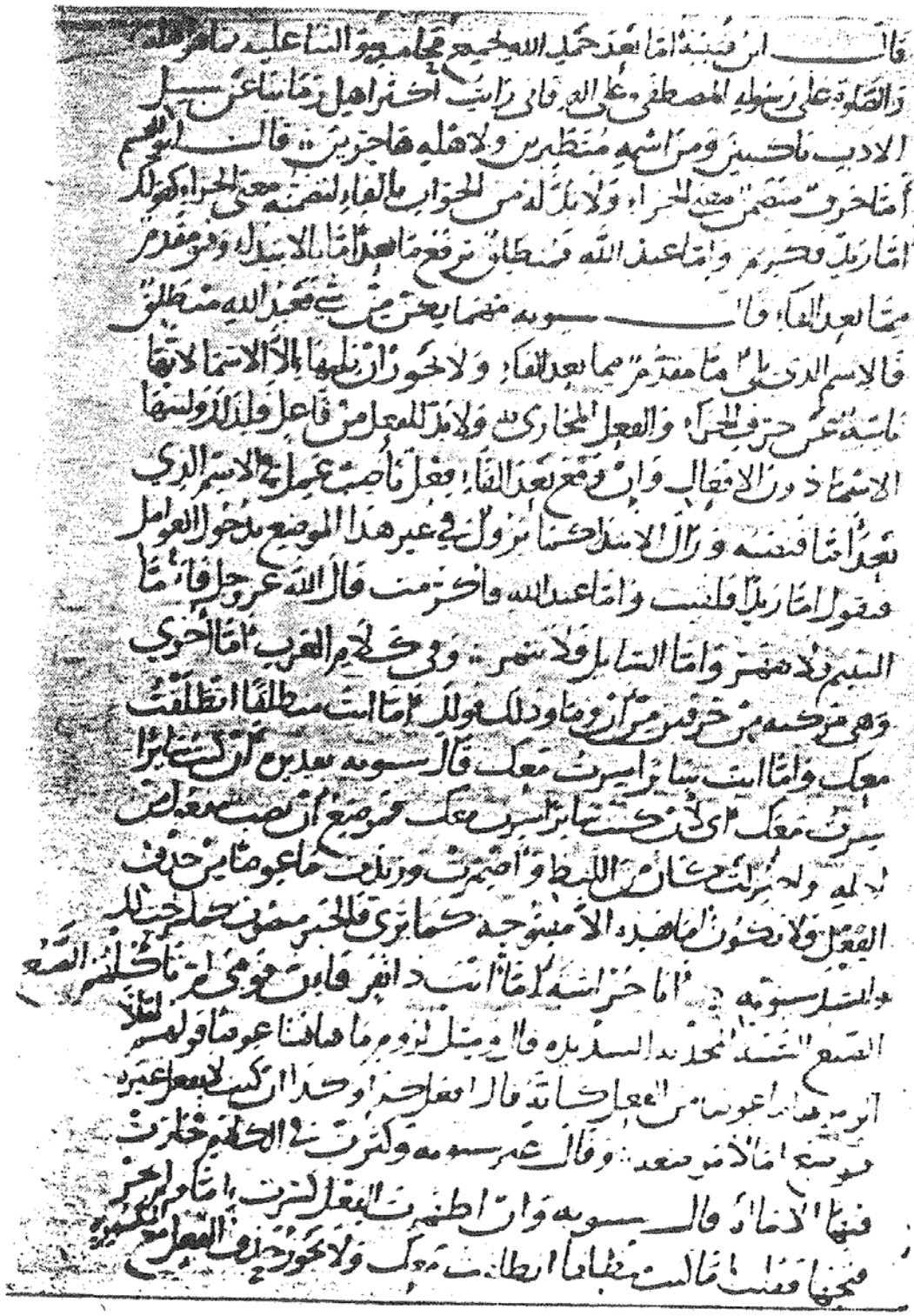

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

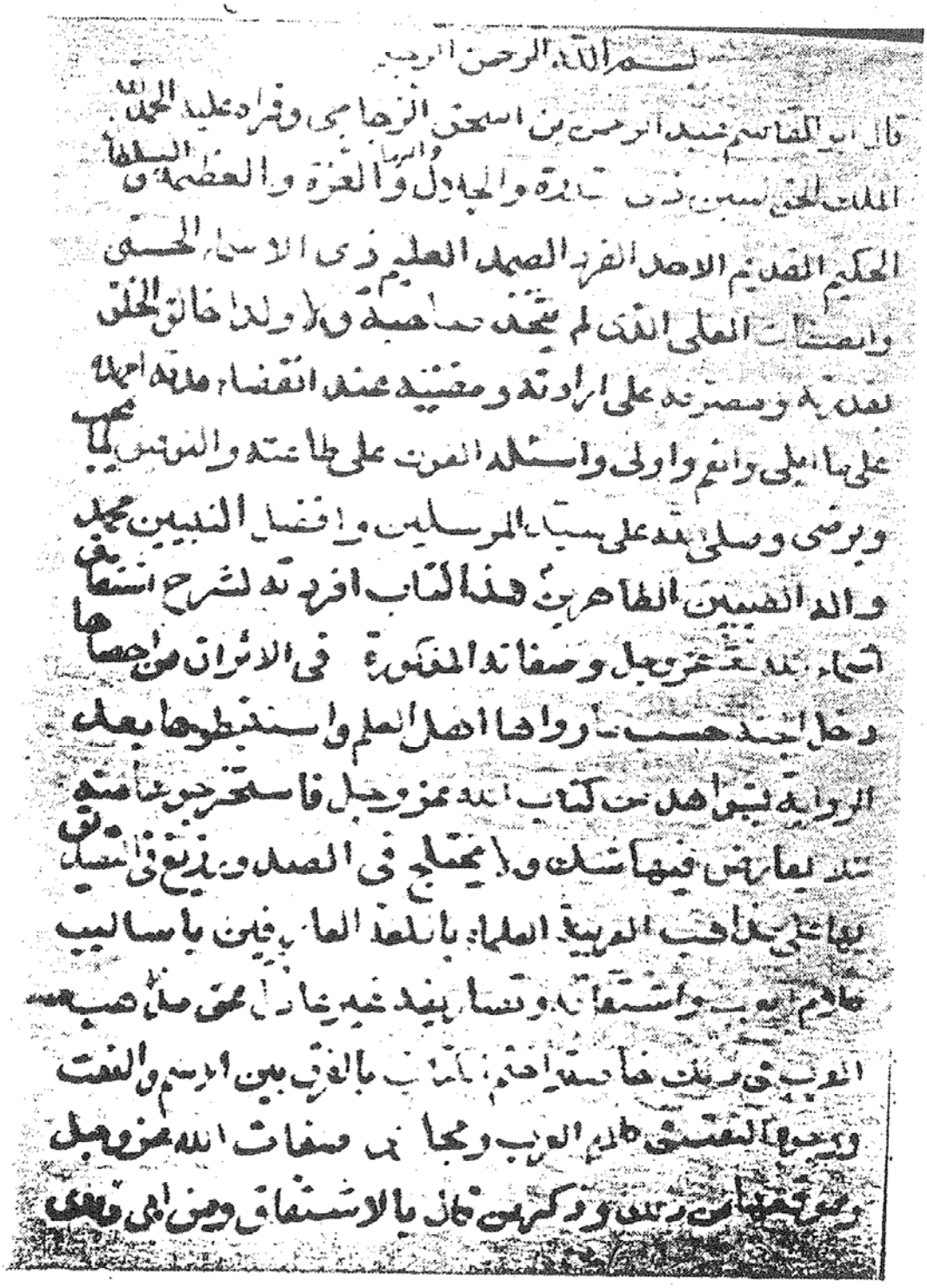

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

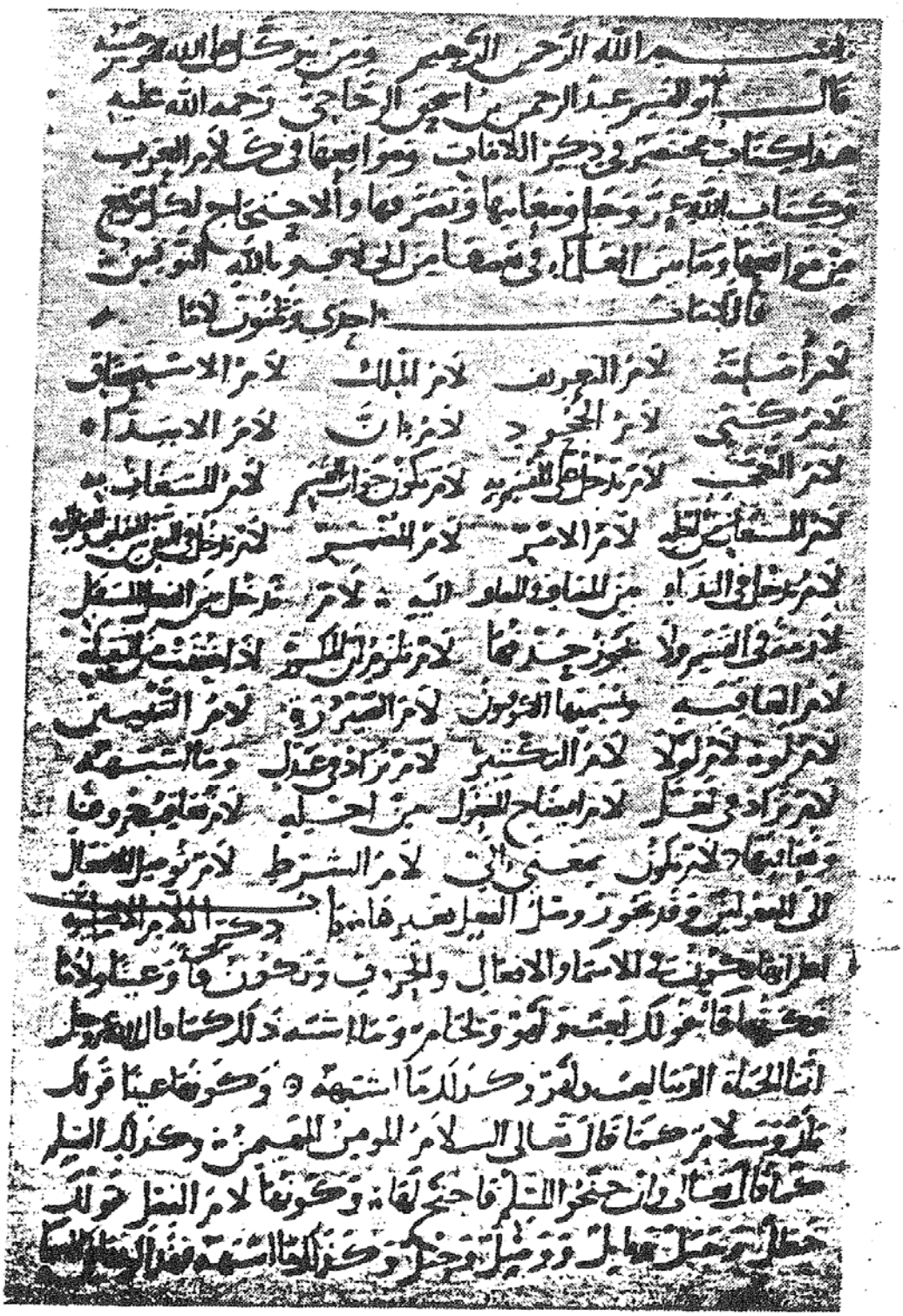

كتاب اللامات للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب اللامات للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net